الفصل الثالث

مفاتيح .. معايير
على طريق
المنهج الفكري الصحيح

الفصل الثالث

مفاتيح .. معايير
على طريق المنهج الفكري الصحيح

مقدمة:

بالرجوع إلى الكتابات المعاصرة التي تتناول قياس درجة الذكاء عند الإنسان، وجد أن أحد تلك المقاييس تتمثل في كيفية التكيف والتوافق الصحي والتعايش الرشيد مع المواقف How to Cope With The Situations. وما من شك في أن أهم ما يساعد الإنسان على تحقيق ذلك الهدف المعياري، هو كيفية التفكير الصائب والتعلم الصحيح للأشياء، وتقييم الشواهد والأمور بشكل صائب ورشيد.

ومن أجل التوصل إلى ذلك السلوك العقلاني الرشيد، يمكن أن تستخدم باقتين من العوامل المساعدة. تتمثل إحداها في مفاتيح الولوج إلى دنيا الرشد ونموذجية التفكير، وتتمثل الأخرى في معايير محددة الألفاظ والمكونات والتوجيهات بحيث تكون بمثابة أضواء إرشادية كافية لحماية الإنسان من أن يضل في رحلته المنشودة حول الفكر والمعرفة .. والتعليم والتعلم .. والحكم والتقييم .. والتفعيل والتنفيذ .....

فهيا بنا في رحلة سريعة لنتعرف معاً على بعض الأمثلة الهامة الموضحة لهذه، ولتلك ...

بعض المفاتيح الجوهرية للتفكر وللتحليل وللتعليم الرشيد :

كم منا من لم يقل يوماً، أو من لم يسمع يوماً عبارة (هذا ليس موضوعنا) أو (ادخل في الموضوع مباشرة) أو (هذا خارج التخصص) ...

مثل تلك العبارة وما يتشابه معها يمكن أن يدل على حقيقة بالغة الأهمية، وهى أن لكل مجال أو علم أو حديث ... مفتاح لفظي أو تعبيري أو معرفي يمكن لمستخدمه التحدث باسمه أو البحث الموجَّه خاصة في مجاله .. فعلى سبيل المثال نجد أن مفتاح علم (الاقتصاد) الجوهري هو (الندرة) Scarcity .. وممكن استخدام مفاتيح فرعية مدعمة لآلية استخدامه بشكل صحيح للكشف عن الحجب الساترة لما يتضمنه ذلك العلم أو المصطلح مثل (ندرة الموارد والإمكانيات المتاحة بالنسبة لتعدد الحاجات إليها) و (المفاضلة والاختيار) كوسيلة توافقية لحل مواطن الخلل بين المتاح والحاجات. وفى علم (الصيدليات) يمكن أن يكون المفتاح الجوهري للتعرف على المزيد عنه بصفته هو (المادة الفعالة) وذلك مع استخدام مفاتيح فكرية مساعدة مثل (الأدوية الوقائية) و (الأدوية العلاجية) و (الأعشاب الطبية) و (الطب النبوي) .... الخ.

ونتيجة لأن مداخل كل علم متخصص كثيرة ومتشعبة، ولأن دهاليزه ذاخرة ببوابات أخرى فرعية، فإن مفاتيح الولوج والتوغل داخل التشعبات العلمية المتخصصة يمكن أن تكون كثيرة ومتنوعة ولابد أن تتاح لكل باحث متخصص بالإضافة إلى المفتاح الأصلي الرئيسي حتى يتمكن من اكتساب المزيد من المعارف المنشودة.

وكذلك الحال لكل راغب في اقتحام دنيا الفكر والتحليل والمعارف الجادة المتميزة، فلكي يتمكن من تحقيق ذلك الهدف العام، ومن التوغل الفاعل داخل الدهاليز المتشعبة لتلك الحياة المعرفية الفكرية الراقية، لابد للباحث عن التميز من

امتلاك مفاتيح مناسبة تمكنه من المضي قدماً خطوة، تلو الأخرى، حيث يقصد بتلك المفاتيح مجموعة الاصطلاحات والمفاهيم المتخصصة بالإضافة إلى الخطوات الأساسية التي ينصح باتخاذها والأساليب الواجب الاستعانة بها من أجل تحسين قدرات المرء على التفكير والتحليل واستجلاب أكبر قدر من المعارف المفيدة وذلك على نحو ما يتضح في الصفحات التالية:

1-3 مفاتيح الفكر والعلم والسلوك الرشيد:

بكلمات قليلة محددة: نود أن نؤكد على الأهمية الكبرى للتعرف على مفاتيح الفكر والمعرفة وعلى كيفية الاستفادة منها وذلك لكل ساع إلى تنمية قدراته الفكرية والتحليلية والإدراكية أملاً في جني ثمار معرفية وعلمية مقبولة ومتميزة بحيث تحث الآخرين على المضي على نفس الدرب وتصنيف إلى العقول البشرية وإلى العمليات الإعمارية ما لم يتكرر من قبل.

(1) ماذا يقصد بالمفاتيح؟

المفاتيح في مجال الفكر وغيره، هي أدوات جوهرية تستخدم لفتح المغاليق .. وهى أدوات لكسر حواجز الجهل بالشيء والتمكن من التعرف عليه، وهى أدوات هامة للتوصل إلى قلوب الآخرين وعقولهم، وهى أدوات النصر والظفر والهيمنة. وبلغتنا ومفاهيمنا الدارجة، فإن المفاتيح تمثل النقاط المحورية التي يتم بها أمر ما أو يرتكز عليها أو يفسر من خلالها.

ولأهمية ذلك الاصطلاح نجده يتردد كثيراً في كلام الله عز وجل، فكلمة (الفتاح) هي اسم من أسماء الله الحسنى أو هي صفة من صفاته المقدسة، والله وحده هو الذي يملك مفاتيح كل شيء ولذلك فهو يعلم كل شيء ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: 59].

(2) بعض المفاتيح الروحانية في دنيا الفكر والعلم والسلوك الرشيد:

من أجل نمذجة المنهج الفكري المعرفي السلوكي الذي ننشد إتباعه، هناك خطوات روحانية وأخلاقية عامة يجب إتباعها ما أمكن وهى:

1- إذا ما رغبنا في اكتساب وإنتاج معارف ومهارات صحيحة ومتميزة ومباركة، فلنردد دائماً أسماء الله الحسنى المرتبطة بتلك المنشودات وأهمها - في ذلك المقام - (الفتاح، العليم، الحكيم، الخبير) وندعو الله أن يجعل لنا نصيباً من تلك الصفات المثلى.

ومن المدهش أن نلاحظ أن هناك أربعة أسماء لله تعالى دائماً ما تتردد معاً على ألسنة كثير من المؤمنين بل والبسطاء على حد سواء، استجلاباً واسترزاقاً للعمل النافع المتميز الواضح خاصة مع بداية كل صباح وهى (يا فتاح، يا عليم، يا رزاق، يا كريم) ...

2- الأدعية المتوافقة مع الأهداف المعرفية المنشودة ومن ذلك:

أ- لإنجاز نشاط معرفي علمي متميز عن غيره، تستريح له النفس المتطلعة إلى دنيا الكمال والتفوق التنافسي الشريف على الآخرين واستمداد العون المعرفي من جنود الله: ترديد الآيات ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح: 1-4].

ب- للاستنصار وللاستشهاد بالله تعالى في مواقف الجدالات والنقاشات متعارضة الآراء والمذاهب والتوجهات خاصة المحتدم منها يقال ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف: 89].

ج- للتوصل إلى حل مقبول وصحيح لمسألة علمية أو فكرية معقدة خاصة فيما يتعلق بالمسائل الاجتهادية للمستجدات الفكرية مثل مسائل المعاملات المصرفية، والتأمين، وزراعة الأعضاء، وأطفال الأنابيب، واستخدام مواد محرمة كالكحوليات ودهون الخنازير في العقاقير الدوائية ... الخ، نظل نردد ما فتح الله به على نبيه سليمان عليه السلام ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ [الأنبياء: 79].

د- دعاء شرح الصدر وتفتيح (المخ) وتيسير عملية البحث المنشودة والإلهام اللفظي الصحيح ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه: 25-28].

ويمكن أيضاً الاستفادة بالآيات التالية لما سبق للاستعانة بأن يمدنا الله بأشخاص لكي يعينونا على إكمال المسيرة المعرفية ويكملون مواطن القصور في إمكانياتنا وخبراتنا ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾ [طه: 29-32].

ويمكن الاستزادة بأدعية كثيرة في هذا الشأن بالاستعانة بكتب الأذكار والأدعية الموثقة أو باستلهام الدعاء المناسب من أسماء الله الحسنى أو من الآيات الكريمة أو من المأثور من الأدعية الموجزة المنجزة أو حتى بكلمات بسيطة تنطلق من قلب مؤمن صادق في إيمانه وفى توكله الفعلي على ربه وفى حاجة الملحة ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: 62].

وبالإضافة إلى تلك المفاتيح روحانية الطبيعة وعظيمة المنافع، فهناك مجموعة أخرى من الإرشادات التي تمثل في مجموعها مفاتيح متكاملة لفتح مغاليق العلوم والأفكار والمعارف ولتيسير وترشيد عمليات استثمارها ويمكن التعرف عليها من خلال الصفحات التالية.

(3) بعض المفاتيح المنطقية والإضافية لترشيد عمليات الفكر والبحث والتعليم:

1- تحديد المصطلحات والمفاهيم بدقة كأصول وليس كمشتقات:

لأن أصولها كلها ترجع إلى العلم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 21] الإلهي.

2- شرح وتوضيح المعنى الدقيق لكل مصطلح ومفهوم ومسمى وظاهرة:

فقد كانت عملية الشرح والتوضيح والتبيان هي التالية مباشرة لخلق الإنسان مما يوحى بأن الفهم ملاصق لديمومة البشرية وعيشها بالنمط الفطري السليم ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن: 3-4].

3- القراءة والاستقراء بكل الجوارح بدءا باستخدام اللسان وبعبارة الإقرار بأن كل شيء من الله واستجلاب دعم الله الرازق لمن يريد بنعمة العلم وغيره:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ [العلق: 1].

دقة التلفظ بكل ما يقال ويعلن على الآخرين لأنه حتماً سيثمر عن تأثير ما في نفس المتلقى ويمكن - في غالب الأمر - أن يؤثر على أفكار ومعارف وسلوكيات الآخرين ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: 18].

4- تدوين كل شيء باستخدام وسائل التدوين المناسبة وعلى رأسها القلم:

فذلك يحفظ الأفكار ويحميها من النسيان أو الاندثار، ويتيح لقرائها من مدونوها أو غيرهم لفرصة التبصر بالصورة الفكرية أو المعرفية المدونة بشكل واضح وغير متحيز، وموثق لا يقبل التشكك أو الجدل في مضامينها، ويحفظ أيضاً حقوق كاتبها ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [القلم: 1] ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ [العلق: 4].

5- استخدام مدونة أو ما في حكمها مثل الكتاب الورقي أو الالكتروني في حفظ المعارف والبيانات والمعلومات ولأغراض أخرى مثل العرض على المهتمين بالأمر وتناقل المضامين ومنح فرص الانتقادات الايجابية التوجيهية:

أ- ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النبأ: 29].

ب- ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: 14].

ج- المكتوب يستخدم كحجة ومرجعية موثقة لفكر المدون له ﴿ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الصافات: 157].

6- استخدام لغة الكتابة (الحركية) ذات الحروف والمضامين الحيوية، التي تثير وتستثير أكبر عدد من حواس الإنسان ومواضع الإحساس فيه كما تساعد على إبراز ملكاته الكامنة وإيقاظها وأفضل ما يبدأ بالاهتمام به هو استخدام اللغة المنطوقة المسموعة، برغم استكانة حروفها على الأسطح المدونة عليه مما يوحى في البداية بأنها حروف مقروءة فقط:

أ- الحروف المنطوقة: ﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجاثية: 29].

ومن صفات المكتوبات (منطوقة الخصائص والسمات) أنها تكون دامغة، صادقة يصعب التلاعب بها أو التشكيك فيها أو تحويلها أو تبديلها أو إحلال بعض المكتوبات الأخرى محلها كلها أو بعضها.

ب- الحروف المسموعة: ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف: 30].

ومن خصائص المسموع من الكتابات: الإرشاد والتوجيه المتقن، الواضح، والسلس، الذي يقنع القارئ له، فيجد نفسه مستجيباً لما فيه ومتبعاً له.

وبطبيعة الحال، فليس كل منطوق ومسموع مؤثر من الكتابات بمقبول الضرورة، فعلى هذا النمط أفلحت كتابات ماركس والشيوعيين فأثمرت عن مفكرين يساريين يستهينون بالأديان ويعتبرونها مجرد عادات شعبية و«أفيون الشعوب» الذي يعتبر من وجهة نظرهم غير صالح للأخذ به في الدين والحياة.

7- استخدام الحواس، والعقل، والتبصر التحليلي، وكل الملكات الشخصية المتاحة للإنسان والمتمثلة في مهارات وخبرات يتميز بها بشكل مطلق أو نسبى والنهى عن إهدار أي من ذلك وأيضا النهى عن سوء استخدامها وإلا سيعاقب الفاعل ومن أهم وسائل العقاب حرمانه مما يهمله !

أ - ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: 36].

ب- عقوبة المهمل للاستخدام الفاعل والرشيد لما منحه الله من وسائل وملكات تفكر وتعقل وتعلم، مما يميزه على غيره من المخلوقات، هو حرمانه منافعها وفعالياتها الحقيقية والكامنة والإبقاء فقط على شكلها العضوي الظاهري مما يحولهم إلى شخصيات بلهاء ذات صفات غير بشرية ولا سوية؛ تتدنى بمراتبهم حتى الدنيوية منها. ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: 179].

8- من معايير الكتاب الفكري- العلمي الجيد:

أ - اقتران كل معلومة معروضة بالدليل الموثق والمؤكد لصحتها ولمصدرها: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ [البينة: 2-4].

وبناء عليه، فذلك يمثل شرطاً غير كافياً وضامناً لإقناع القارئ بما يتضمنه من صحيح البيانات والمعلومات فالكتاب في حد ذاته سيظل مقوماً بصحته وبرقى متضمناته، أما عن عدم تأثيره في كل قارئ فيمكن حدوثه لأسباب تعيب القارئ وليس المقروء، كأن يكون القارئ وليس المقروء، كأن يكون القارئ مسيئاً لاستخدام حواسه ومداركه فيحرمه الله من الانتفاع بأصول منافعها (كما بينا في رقم 7)، أو يكون القارئ متبعاً لمذهب أو توجه معارض.

ب- أن تفيد متضمناته على مستوى التوجه الشخصي والتطبيق العملي: كأن يفيد في تصحيح معلومات القارئ، أو في تعرفه على المجهول المهمل، أو في إرشاده إلى تقييم ذاته وتقييم الآخرين بشكل منطقي مقبول أو في فهم ما كان يلتبث عليه من سلوكيات الغير أو في إرشاده إلى السلوك المعيشي النموذجي في مجال الاستهلاك والإنتاج والعمل والتعامل مع الآخرين ..... الخ.

وكل هذا يرتبط كما ذكرنا في رقم (3) بضرورة استخدام الحروف والكلمات الحيوية المقروءة (بالبصر والتبصر)، والمنطوقة (بالإقرار وصيحات الإعجاب والتأثير مثلما قال أرشميدس «وجدتها») والمسموعة (بالامتثال والتنفيذ والاستفادة الفعلية والفاعلية) والعقلانية (التي تضمن القبول العقلاني والمنطقي لها وعدم نسيانها أو انزلاقها إلى طيات عالم النسيان مع أول معلومات أو كتابات أخرى تالية، أو مع أول أحداث وظواهر أو مشاغل مستحدثة.

ج- التدوين بالقلم أو ما يقوم محله بما يسمح بقراءة مكوناته للمبصر والكفيف: باستخدام طريقة برايل كبديل للقلم ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [القلم: 1]، ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ [العلق: 3-4].

9- من ضوابط العمل الفكري المقبول والنواهي الواجب تجنبها:

أ- اقترانه بالنية أنه لوجه الله وليس لمجرد مطلب دنيوي بحت: عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمري ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

ب- الإقرار بأن كل ما يتعلمه المرء وما يتميز به من خبرات ومهارات وانجازات فهي أصلاً من عند الله سبحانه وبتوجيهه وبتعليمه، وأنها جزء من الرزق الذي يمنحه لكل البشر حتى الكافرين والعاصين منهم وأن أي متميز معرض لسحب ما يتميز به وحرمانه منه على سبيل الابتلاء أو العقاب أو لأي سبب آخر يقترن بحكمة الله وبمشيئة وحده.

- ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: 5].
- كلما علمنا شيئاً لابد من الإقرار بذلك صراحة ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾ [يوسف: 37]، ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦ ﴾ [النمل: 16].
- وكذلك الفهم الصحيح والإدراك الرشيد للأمور وللحلول والمعالجات هو أيضاً من عند الله ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: 78-79].
- مهما ازداد علم الإنسان ومهما بلغ علم البشر، فهو مازال قليلاً وقاصراً،

---

(1) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

ولكل حدود فيما يرزقه الله من علم ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم: 30]، ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 85].

- وللاستزادة من العلم كرزق إلهي مؤكد ندعو بما ورد في الآية ﴿ .... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 114].

- والحكمة ضرورية كرزق مقترن بالعلم وبالسلوك وبالتقسيم الرشيد للأمور وهى من وسائل الذكاء والفطنة ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: 269].

ج- التجنب التام ولو حتى بالتفكير الداخلي الشخصي بأن ما بلغه الإنسان من علم أو تميز مهني هو من قدرته وجهده البشرى وإلا سيعرض كل ذلك للضياع من مالكها الحقيقي الله سبحانه وتعالى ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص: 78] ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: 81].

د- عدم تزكية أحد والنظر إليه كعالم أوحد يعلم كل شيء أو أنه مثالي وقدوة لأنه عالم في الظاهر أو يتميز ببعض مما رزقه الله من علم غير تقليدي.

- ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: 32].

- لكن ذلك لا يمنع من أن يكون هدفنا هو السمو والارتفاع ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ [الشمس: 9].

- عدم وضع أولوية أو أفضلية لعلم أحد على أحد لأن كل عالم في موضع أو في مجال، هو جاهل بأمور يعلمها غيره أفضل منه؛ حيث أن العالم الوحيد بكل العلم هو الله سبحانه وتعالى الذي شاء وجود مفاضلة واختلاف وتباين في العلم بين البشر لكي يتذكر الجميع الأصل الفعلي

لكل تلك المصادر العلمية البشرية ﴿..... نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف: 76].

هـ- عدم تمنى الآخرين لنيل منزلة محظوظ بعلمه أو بمنصبه أو بما شابه لأنهم لا يدركون إن كان خيراً أم شراً وهذا عادة ما يحدث من قبل النهمين لمنافع الدنيا الخادعة والتي يدرك العلماء الحقيقيون بمدى تفاهة قيمتها.

- ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ ﴾ [القصص: 79-82].
- ويلاحظ أن كل هذا درس يرتبط بالعلم:

- الذنب الذي اقترفه قارون نتيجة لإرجاع ما يتمتع به لعلمه المتميز الشخصي.
- فطنة العلماء الفعليون لخطأ هذا وعدم انبهارهم بكل ما يتمتع به من مظاهر دينوية.
- انبهار الدنيويين به.
- تخلى المنبهرين عنه وقت افتقاده لمسببات الانبهار (دنيوية الطبع).
- التحول التام لنظر الدنيويين له من الغبطة والحسد والانبهار، إلى العزوف والانصراف عنه مع حمد الله على أنهم ليسوا مثله !!!

تماماً مثل قصة المصريين مع الرئيس السابق حسنى مبارك وقت السلطة وبعد فقدانه لها في فبراير 2010م.

و- في حالة مواجهة البحث عن أمور غير واضحة أو حيرة بين معلومات متناقضة أو ما شابه تلك المواقف.

- الدعاء إلى الله والاستعانة به لتبصيره بالأمر الرشيد مثل ترديد الجزء من الآية الكريمة ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾ [الأنبياء: 79].
- ودعاء موسى ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: 25-28].
- الاستعانة باستشارة آخرين ممن يتميزون بمعرفة ما يجهله أو يحيره، ويفضل من يرتبط بهم بعلاقات ودية، وذلك لدواعي المصداقية والتجاوب ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ [طه: 29-32] ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأنبياء: 7].
- إعطاء أولوية للثوابت من النظريات والقوانين والمعلومات والبيانات وعدم استخدام المفردات محل التشكك إلا في حالات الضرورة الملحة. عن أبى عبدالله بن بشير رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»[1]. وفى حديث آخر «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[2].

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) حسن، رواه الترمذي والنسائي.

- للدعم العلمي وتعظيم ثماره ومخرجاته يجب التشاور وإقامة حلقات نقاشية انتقاديه فعالة حول الأبحاث الجاري إعدادها وتنفيذها خاصة ما يتعلق منها بالمنظور الديني.
- عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى ﷺ، أن النبي ﷺ قال «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1] (رواه مسلم).
- استفتاء القلب والعقل وعلامة القبول للأمر هو عدم وجود أى شعور قلق أو تشكك في المطلق. عن وابصة بن معبد ﷺ قال أن النبي ﷺ قال له «جئت تسألني عن البر والإثم فقال نعم فجمع أنامله فجعل ينكث بهن في صدري ويقول يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك ثلاث مرات البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك».

ز- توثيق كل المعلومات وعرض الآراء بصدق وتدعيم ذلك بالمصادر والأدلة. عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال «لو يعطى الناس بدعواهم لادَّعى رجال أموال قوم ودماءهم، ولكن البينة على من أدعى واليمين على من أنكر»[2].

ح- الاستعانة بالمصحف الشريف كمصدر محوري وأساسي لكل البيانات التي تمثل مسلمات يمكن أن تبنى عليها العلاقات والتحليلات والتي يمكن أن تيسرها.

- ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89]. ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 38].

---

(1) رواه الإمام أحمد (17545).

(2) حديث حسن، رواه البيهقى وغيره هكذا وبعض في الصحيحين.

2-3 مؤشرات، معايير، ودلالات تقييمية وبرهانية:

حين كنت في بريطانيا للدراسة للحصول على درجة الدكتوراه، حدثت لي قصة طريفة حان وقت عرضها في ذلك المقام !!! فقد كنت ارتدى غطاء رأس رأيت أن لونه رمادي فاتح. ولسبب ما أثيرت مناقشة جدالية طريفة بيني وبين مجموعة من صديقاتي متعددات الجنسيات والثقافات والطباع والتوجهات، وفوجئت بتنامي تلك المناقشة الجدالية حول حقيقة لون غطاء رأسي هذا، وأصابتني دهشة شديدة للتباين الكبير في الآراء حول لونه ولعدم وجود إجابتين متوافقتين أبداً، فأنا صممت على أنه رمادي فاتح لأنه يمثل درجة رمادية فاتحة من درجات لون الفستان الذي أرتديته لكن إحدى صديقاتي اعترضت بشدة فأكدت أن لونه أبيض داكن off white، وأخرى قالت بحماس أن لونه الفعلي بيج فاتح وثالثة أكدت على أن لونه عاجي أو كريمي ... وهكذا استمرت الجلسة التي انتهت بتمسك كل برأيه .. على ماذا .. على لون قطعة قماش ظاهرة للجميع بذاتها.

وتحولت مثل تلك المواقف الجدلية التي عاصرتها على طريق حياتي، إلى تباينات شديدة في الآراء حول المعارف والعلوم والنظريات التي يتكثف ظهورها في المحافل العلمية واللجان والمجالس المهنية المتخصصة، وكل يسعى إلى الانتصار لرأيه إما بدافع مصلحة ما أو لتحقيق هدف ما أو نتيجة للتباين في القدرات والمهارات وحقائق التبصر الصحيح بالأمور.

وأصبح من الضروري – إذن– أن تكون هناك مجموعة من الدلالات والمؤشرات والمعايير التي يمكن استخدامها كأدوات تقييميه فاصلة تساعد على تقريب وجهات النظر المتعارضة وعلى التعرف على أقرب الآراء إلى الوضع الصحيح.

ومن الطبيعي، أن الشخص أو الباحث الراغب في نمذجة أفكاره ومعارفه وتصريحاته وتحليلاته وتدنية ما تتضمنها من أخطاء أو انحرافات أو عدم مصداقية

عليه أن يعد لنفسه قائمة من تلك الدلالات (التي تثبت صحة الشيء) والمؤشرات (التي تدل على حقيقة الشيء وتظهر الجانب الصحيح وترشد إليه) والمعايير (التي تمثل أوضاعاً مثالية تقاس عليها الأشياء المناظرة).

وفيما يلي، نعرض قائمة مبسطة تشمل بعض من المؤشرات والمعايير والدلالات التي يجب على كل باحث ومفكر وعالم رشيد أن يستعين بها ويستخدمها لتحسين قدراته وملكاته ولتقوية الحجج والعلل التي يدلل بها على صحة ما يقوله مقارنة بآراء المناظرين له. وذلك أملاً في تقديم مثال فكرى نموذجي أساسي يصلح كلبنة أولية يمكن للغير أن يضيف إليها لبنات أخرى تصلح في إجمالها لبناء هيكل فكرى معياري نموذجي ومتكامل.

(1) المؤشرات Indicators:

إنها تمثل العلامات signs التي تشير إلى صفة أو حقيقة ما، وقد تمثل أعراضاً symptoms توضح بشكل مباشر أو غير مباشر حقيقة ظاهرة ما أو مفهوم ما أو علاقة ما ..... إلخ. ومن أبرز الأمثلة العامة التي يمكن البدء بذكرها كتمهيد لعرض المؤشرات الأكثر ارتباطاً بمجال الفكر والبحث والتحليل المعرفي، يمكن ذكرا أن الحجاب مؤشر على أن من ترتديه مسلمة لكنه لا يعتبر في نفس الوقت مؤشر على ديانة أو عقيدة من يقوم بتصنيعه أو ببيعه لأن ارتداءه يرتبط مباشرة بتطبيق حكم تشريعي إسلامي، أما من يقوم ببيعه أو بتصنيعه فقد يفعل ذلك لمصالح أو لأهداف تكسبيه ومعيشية دنيوية بحتة لا يشترط معها اعتناق ديانة ما أو تطبيق حكم شرعي ما. وكذلك الحال في فنانة تمثل شخصية إسلامية فارتدائها للحجاب لا يعتبر مؤشراً مؤكداً على كونها مسلمة .. فهي فقط ممثلة تقوم بأدوار تشخيصية!

وكذلك اللغة التي يتحدث بها شخص ما أو اللكنة التي تميز حديثه يمكن أن تكون مؤشراً على جنسيته، ووجود تجاعيد كثيرة على الوجه هي في الغالب الأعم

مؤشراً على تقدم السن .. وطبعاً هناك مؤشرات بيولوجية أساسية تستخدم كمؤشرات على نوع الشخص إن كان ذكراً أو أنثى - فالشارب واللحية مثلاً مؤشرات على الذكورة، ونعومة الصوت مؤشر على الأنوثة ... الخ.

وعلى ذلك النحو يمكن أن نعرض بعض الأمثلة على المؤشرات المرتبطة بالمجال البحثي والمعرفي والفكري والتحليلي، والتي يفيد عرضها في التعرف على كثير من الحالات والظواهر ذات الصلة واستقراء متضمناتها على الأقل بشكل مبدئي أو تمهيدي لتأكيدات يمكن أن تحدث بمؤشرات أخرى وبأدلة وبمعايير مساعدة.

أ- مؤشرات ترتبط بخصائص الشخصية الباحثة أو المفكرة، وبطبيعة العملية المعرفية:

- حب القراءة خاصة منذ الصغر وقبول ما يقرأ للآخرين كما هو يدل أو يعتبر مؤشراً على أن من يفعل ذلك هو شخصية (ناقلة) لكن غير مفكرة، لأن التفكير يعنى التعمق فيما تتم قراءته بعين ثاقبة متفحصة متجولة ما بين النقاط والعلامات والأحرف والسطور والصفحات وبعقل انتقادي تصنيفي انتقائي وبقلم مدون دائماً لملاحظات ولانتقادات ولبدائل أفضل للجوانب السلبية أو غير المقبولة فيما تتم قراءته.
- حب الكتابة بدون الرجوع إلى مصادر أخرى مساعدة يعتبر مؤشراً على مهارات تأليفية لكنها غالباً ما تكون كتابات جوفاء أو سطحية لا جذور معرفية أصيلة لها.
- حب القراءة والكتابة معاً بحيث ينجم عن هذا إضافات فعلية ومتميزة ونافعة وجديدة عما وجد في الكتابات المماثلة السابقة، هذا يكون مؤشرٌ على شخصية مفكرة ومبدعة غالباً.
- خلو العمل الفكري التام من كلمة الله وما يرتبط بها مثل بمشيئة الله، أو بعون

الله، أو من فضل الله، أو من علم الله ... الخ، هذا مؤشرٌ على مفكر علماني أو من أولئك الذين ينادون بفصل الدين عن العلم أو من أولئك الأنويين الذين يعتقدون بأن العقل البشرى هو ... ومن بعده الطوفان!

- إذا كان العمل الفكري علمي الطابع ويرتبط بأمور دنيوية بحتة وتجريبية بحتة مثل العلوم الرياضية والمعملية القياسية، وغلبت على المعروض منه عبارات دينية تعبدية مثل تلك التي أشرنا إليها بعاليه، وكان ذلك على حساب المعروض من الحقائق العلمية التجريبية التخصصية، فهذا مؤشر على أن صاحبه أجوف من الناحية العلمية الفكرية التخصصية وأنه استعراضي، وغالباً ما يستخدم الدين لإظهار تميز شخصي مستغلاً الاحترام والتقدير الغالب لكل ما يرتبط بالنواحي الدينية والأخلاقية.

- أما إذا كان العمل الفكري قد استوفى تماماً كل النواحي العلمية والفكرية والمعرفية التي تغطى الأهداف المذكورة مقدماً، وكل الوسائل العلمية التحليلية المنهجية المتفق عليها في دنيا العلم والفكر والمعرفة، وإذا كان ذلك العمل قد تم تقديمه وعرضه بطريقة جاذبة لأكبر عدد من القراء، وإذا كان قد أثمر عن نتائج ومقترحات تفيد أكبر عدد من شرائح المجتمع البشرى .. ومع كل هذا تم الحرص على تذكير الله بين الحين والحين وتذكير القارئ بأن كل هذا التميز إنما هو بإلهام من الله وبفضل منه سبحانه، وبأن ذلك العلم «لم يؤت من عنده» كما فعل قارون من قبل .. في تلك الحالة فقط لابد أن نرى مؤشراً يتوهج بلآلئ مبهجة تبشر بتمتع صاحب ذلك العمل بالمواصفات العلمية الفكرية الإبداعية المقبولة عند الله وعند البشر والتي يجب أن تصبح قدوة للآخرين كي يسيرون على نهجها.

ب- مؤشرات معرفية علمية متخصصة:

- مؤشرات اقتصادية: مثل مؤشرات التنمية التي تتمثل - على سبيل المثال - في متوسط دخل الفرد وحجم الناتج القومي.
- مؤشرات اجتماعية: مثل مؤشرات الفقر - على سبيل المثال - متوسط نصيب الفرد من المياه الصالحة للشرب.
- مؤشرات صحية: مثل الأعراض المرضية التي تعتبر مؤشرات على أمراض بعينها كصفار العين الذي يعتبر مؤشراً قوياً على الإصابة بمرض المرارة أو الصفراء، ووجود تكتلات متنامية في منطقة ما في الجسم التي تعتبر مؤشرات مبدئية على وجود أورام قد تكون حميدة وقد تكون خبيثة ...
- مؤشرات سلوكية: فإذا لوحظ مثلاً أن شخصًا يحتل منصبًا رفيعًا وأنه يركز اهتماماته على العلاقات العامة أو على إيذاء الجادين الناجحين في أعمالهم من زملائه، فقد يكون ذلك مؤشراً قوياً على ضعف مستواه الفكري والمعرفي والعلمي وعلى انخفاض كفاءاته المهنية الفعلية، فذلك التصور يجعل صاحبه عاجزاً عن إظهار تميز فعلى في المواطن المستهدفة من علم أو إدارة، ويكون الأيسر له في تلك الحالة أن يتم التخلص من المتميز عنه فيظل هو الأكثر تميزاً في الظاهر، كما يستخدم العلاقات العامة والهدايا وما شابهها لكي يعوض بها ما يعانيه من نواحي قصور وكي يصرف انتباه الآخرين عن تلك العيوب ويحول ذلك الانتباه إلى مواطن تميز أخرى لا علاقة لها بالأهداف المعرفية الأصلية.

وتفيد النماذج المعروضة سابقاً للمؤشرات ولبعض أنماطها في توجيه القارئ خاصة ذلك الباحث عن التميز المعرفي والتحليلي إلى أهمية تكوين قائمة من المؤشرات المماثلة التي ترتبط بأي موضوع معرفي ينشد التوغل في أرجائه بشكل

فكرى وعلمي ومنطقي منظم بل حتى في الحياة الدارجة يجب على الإنسان الرشيد أن يحدد ويصيغ لها مجموعات مناسبة من المؤشرات التي تساعده على وضوح الرؤية وتفعيل القرارات والسلوكيات.

(2) المعايير Standards:

تم عرضها بعد المؤشرات لأنها قد تمثل في غالبيتها مؤشرات لكن أكثر دقة وتحديداً لأنها مؤشرات قياسية، أي قابلة للقياس بوحدات القياس الملائمة لطبيعة المرء المستهدف. وهى مثل مكاييل الميزان التي توضع في إحدى كفتى الميزان ثم توضع في الكفة الأخرى الأعمال أو الأشياء المطلوب تقييمها بالتحديد، وإن كانت في نفس الوقت يمكن أن تمثل أوضاعاً مثالية نموذجية تقارن الأوضاع بها، وكلما تماثل الموضوع محل التقييم مع الحالة المعيارية كلما دل ذلك على اقترابه من النموذجية والمثالية والعكس بالعكس صحيح، ومن المصطلحات العامة الشائعة في ذلك الصدد على سبيل المثال أن يقال ذلك الشخص مقاييسه «استاندارد Standard» ويقصد بذلك أنه يتمتع بمقاييس جسدية مثالية صحية ورشيقة ...

وعلى نفس النهج السابق المتعلق بالمؤشرات، نورد بعض الأمثلة على المعايير فيما يلي:

أ- معايير ترتبط بخصائص الشخصية الباحثة أو المفكرة، وبقيمة العملية المعرفية:

- معيار التطابق بين القول والفعل (درجة التفعيل): أي مقدار ما يتم تطبيقه مما يقال، وكلما كان الفكر أو العلم أو النظريات قابلة للتطبيق العلمي، بل وكلما حدث تطبيق عملي ناجح لها، كلما دل ذلك على نجاح الفكر أو نظيره المنشور.

∴ فالتفعيل هو مطابقة الفعل للقول.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف:2-3].

.. ومن ثم فالذي يكتفى بالأقوال دون الأفعال يعتبر ثرثاراً أو خيالياً لا يصلح فكره لدنيا الواقع مثل أفكار الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو وأصحاب نظريات التعاونيات ومثل هؤلاء الذين تمتلئ الأدراج بسجلات براءات اختراعاتهم الورقية النظرية بدون أن نجد لها مردوداً فعلياً على أرض الواقع.

- معيار التطابق والتوافق بين القدرات والإنجازات: **درجة الكفاءة التشغيلية** ومن ذلك ضرورة التوظيف وتحميل المسئوليات وفقاً لما يتميز به كل شخص ويتمتع به من إمكانيات وملكات فعلية لا وفقاً لما يتطلبه العمل الذي قد يتعارض مع تلك الإمكانيات ففي تلك الحالة سيحدث إهدار حقيقي لتلك الكفاءات البشرية نتيجة لسوء استغلالها الأمثل «كل امرئ مهيأ لما خلق له»[1]، «أعملوا فكل ميسرٌ لما خلق له»[2].

- معيار التوافق بين التكليف والطاقة البشرية الفعلية: **درجة الكفاءة الإنتاجية**، فكلما حدث توافق بين الجانبين كلما ارتفعت الإنتاجية - فإذا كان التكليف أقل من الطاقة الفعلية فهو إهدار للطاقة غير المستثمرة وتسريب لمنافع كانت متاحة، وإذا ما كان التكليف أكبر من الطاقة فسوف ينطبق قانون تناقص الغلة بمعنى حدوث تناقص مستمر في الإنتاجية حتى تبلغ صفراً ويمكن أن تصل إلى درجات سلبية تتمثل في إصابة العامل والمكلف فوق طاقته بأمراض أو بعجز كلى أو جزئي أو بإحباط يفقده حماسة

(1) حسن، صحيح الجامع مع الصغير وزيادته، مج 2، 4511، ص830.
(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 1074، ص 243.

الاستمرارية في العطاء ... إلخ. وإن كان ذلك يتضح تفسيره من القانون الاقتصادي (تناقص الغلة) فهو يتضح من قبله في الإرشادات الإلهية التي وردت بالقرآن الكريم ﴿ ....لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق: 7] كما يقول تعالى: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [المؤمنون: 62]، وفى الحديث الشريف الصحيح «عليكم من الأعمال بما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا»[1].

- الرأي العام الإجمالي حول شخص يمكن أن يمثل معياراً على حقيقة صفاته خاصة إن كان رأى الأقربين والجيران وشركاء المهنة الواحدة.
- خطأ الاستخدام المطلق لمعيار الأغلبية عند اتخاذ القرارات الرسمية أو المصيرية لأنها قد تصدر من أغلبية فاسدة ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ ﴾ ص: 82-85).

وفى الحديث الصحيح «طوبى للغرباء، أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[2].

- معيار القبول الجوهري للأعمال الحسنة الدنيوية مثل الصدقات التطوعية هو، الإيمان بالله أولاً والعمل لوجه الله مع هذا .. وليس العمل لأهداف دنيوية مثل الشهرة والظهور بمظهر يحبه الناس أو لتحقيق مصالح شخصية غير مباشرة، وكذلك ترفض أعمال الكفار مهما بدت حسنةً للناس فهي كالسراب عقيمة الجدوى.

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 4085، ص 753.

(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 3921، ص 728.

- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾ النور: 39) وتلك الآية تعطى للمؤمنين معياراً بالغ الأهمية للفئات التي يجب التعامل معها وطلب مساعدتها وعونها عند الحاجة وهى الفئات المؤمنة غير الكافرة ومن ثم فالحصول على قروض ربوية - مثلاً - من جهات هي أصلاً لا تؤمن بالله ولا تقر بأن المال ماله وأن الأرزاق بيده وحده إنما هو سلوك غير رشيد وغير نافع في واقعه. وكذلك يتضح من الحديث النبوي الصحيح الآتي أن أعمال غير المؤمنين أو غير الأبرار ليست فقط عقيمة وعديمة النفع بل إنها يمكن أيضاً أن تضر الغير برغم نفعها الظاهري فتصبح مثل الشوك وليس مثل العنب عظيم المنافع «كما لا يجتنى من الشوك العنب، كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار، وهما طريقان فأيهما أخذتم أدركتم إليه»[1].

- معيار الولاية ومناط المسئولية يرتبط بكل إنسان بحكم ما ولى من مسئولية رعاية فئة ما، ولمن أشد ضروب الخطأ، حصر الولاية والمسئولية في نطاق المناصب القيادية أو الرسمية المتعارف عليها مثل رئاسة الدولة أو رئاسة الجامعة ... الخ ووفقاً لذلك المعيار لابد لكل فرد قبل أن يساءل رئيسه عن أداء مسئولياته تجاهه وتجاه من يعول، فعليه أولاً أن يعد كشف حساب لنفسه عما أنجزه من مقتضيات مسئوليات الولاية التي منحها الله أو فرضها الله تعالى عليه بوجوب رعاية نفسه ومَنْ قَدرَ له أن يتولى رعايتهم.
«كلُّ راعٍ مسئول عن رعيته»[2].

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 4576، ص839.
(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 4526، ص832.

«كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئولٌ عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده وهو مسئولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في مال أبيه وهو مسئولٌ عن رعيته، فكلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته»[1].

- معيار صحة القوانين واللوائح والقرارات والإجراءات وكل الأعمال أن تكون مطابقة للنصوص التشريعية «كلُّ شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل، وإن كان مائة شرط»[2].

- صفات وسلوكيات الرفيق والصديق تدل على طبيعة المرء نفسه، «المرء مع من أحب»[3]. «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنودً مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[4]. وفى رواية أخرى «الأرواح جنودً مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[5].

- طبيعة موضع التعاون بين مجموعات من البشر تدل على طبيعتهم هو فإن تعاونوا على خير ففيهم الخير، وإن تعاونوا على شر فبكل تأكيد، هم من الأشرار ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [المائدة: 2].

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 4569، ص 838.
(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 4530، ص 833.
(3) صحيح، مج 2، 6689، ص 1134.
(4) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 6797 – 2319، ص 1149 – 1150.
(5) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 2768، ص 536.

- (الأسبقية) في الإنجاز يجب أن تكون معياراً لتقييم الأولوية ولتحديد الأولوية في المكافأة وفى العطاء .. وذلك يستلهم من قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة 14-10]. ومعيار الأسبقية يمكن أن يستخدم في التقييم بالدرجات فالأسبق يأخذ درجة أعلى ممن يليه في الإجابة على سؤال ما أو في الانجاز أو نحو ذلك ونسترشد في ذلك بالحديث النبوي الصحيح «مَنْ اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قرَّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرَّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»[1]. وممكن أن نستلهم من الحديث أيضاً متى يكون المرء ناجحاً؟ .. بطبيعة الحال إن أنجز عمله وفقاً للمطلوب وفى إطار الوقت المفروض .. أما إذا لم يتحقق هذا ولا ذاك أو لم يتحقق الشرط الأول بصحيحه حتى إن تم إنجازه في الوقت المطلوب (كأن يذهب المصلى في الفترة المسموح به ويؤدى صلاته بدون التوضؤ مثلاً أو بعدم الامتثال للإمام ....) فهنا يرسب المرء وتجب عليه الإعادة أو تصحيح الأوضاع ..كلٌ بما يجب فعله وتقضى شروطه.

- الإدانة بالأغلبية لشخص، ما ليست بالضرورة دليل على صحيح الحكم: وشاهدنا في ذلك ما حدث مع السيدة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك المعروفة، وكذلك قصة عثمان بن عفان رضي الله عنه (أحد العشرة المبشرين بالجنة)

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 6063 – 2004، ص1047.

الذي تجمع عليه القوم ليقتلوه بغياً وعدواناً وكان يوم قتله صائماً فرفض هؤلاء المتوحشون إمداده بالماء الذي طلبه ليروى ظمأه وقد ورد (في كتاب السنة رقم 1302، 2/ 593، تحقيق الألباني) أن عثمان قال في لحظاته الأخيرة لزوجته السيدة نائلة بنت الفرافصة «.... فقال: إن رسول الله ﷺ أطلَّع عليَّ من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال: اشرب يا عثمان، فشربت حتى رويت، ثم قال ازدد فشربت حتى تملأت، فقال: إن القوم سيكثرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وإن تركتهم أفطرت عندنا. قالت: فدخلوا عليه من يومه فقتلوه» !!

ومن المعيار الأخير نلاحظ أنه يمكن أن ينظر إليه أيضاً كدليل ولقد لوحظ أن كثيراً مما سبق عرضه يمكن أن يصلح كمؤشر وكمعيار وكدليل ... فالعبرة هنا ليست بالتصنيف التحكمى هذا، ولكن الأهم من التركيز على تصنيف المفهوم والهوية، هو أن ندرك أهمية تلك النماذج وان نحسن استخدامها وتطبيقها من أجل تحسين مداركنا الفكرية والتحليلية والتقييمية والمعرفية والإنجازية، وكل ما ننشده من قرائنا الأعزاء هو أن ينهض كل منكم ليبدأ في عمل دليل شخصي يتضمن المزيد من النماذج المماثلة لتكون لآلئ وأنواراً مرشدة له في طريق الحياة المعيشية الصحيح ... ولعلنا بعد فترة من الزمن نلتقي على أبواب مدرسة فكرية سامية واحدة هي مدرسة المعايير النموذجية المرشدة ولعلنا نتمكن من تقديم موسوعة أكبر حجماً وأكثر تنوعاً وشمولية بحيث تشمل مجهوداتنا الصادقة معاً في تلك الموسوعة الطموحة.

لكن انتظروا .. أنا لم أختم حديثي بعد، سامحوني، فكرم الله في رزقه لي بالعلم الواسع ولا ينتهي، وأنا أجاهد نفسي من أجل التوقف تجنباً لإصابة قرائى بالإجهاد وبالملل وتخوفاً من أن ينصرفوا عنى، وأن يكون المعروض قد فاق حدود الطاقة الاستيعابية للتعرف على المزيد .. فسامحوني .. سأحاول ختم كتابي هذا بعد سطور

أو صويحفات قلائل أذكر فيها بعض الأمثلة والنماذج السريعة حول بعض الأدلة والبراهين التي يمكن أن ترشدنا في كيفية التعرف على حقائق الأشخاص والأشياء والظواهر وفى الوقاية من الانزلاق في براثن الخداع الظاهري.

... لكن عذراً، لن أفعل ذلك إلا بعد عرض نماذج سريعة للصنف الثاني من المعايير وهو ذلك الذي يرتبط بالمعارف والعلوم المتخصصة .. فتفضلوا معي لنعرف شيئاً مرشداً حول تلك المعايير.

بـ معايير معرفية علمية متخصصة:

- **ففي مجال الاقتصاد** مثلاً هناك معايير قياسية بالغة التنوع وهى تُستخدم عادةً لقياس المتغيرات التابعة والمستقلة والعوامل المؤثرة في ظواهر هي أيضاً يجب قياسها ... الخ. ومن الأمثلة على تلك المعايير:
  استخدام الواردات والصادرات المنظورة وغير المنظورة في قياس حالة ميزان المدفوعات، وكذلك يوجد معيار (عدم التأكد) Calculation of Uncertainty وهو يستخدم عادة في حالة التقديرات التي تحسب بطرق مختلفة لذات البيانات، ومن ثم فهو يستخدم من أجل تقدير الخطأ المعياري للفروق المتوقعة أو الفعلية في النتائج وذلك المعيار يستخدم ليس فقط في مجال الاقتصاد الرياضي أو القياسي أو التحليلي لكن يستخدم في كل العلوم التي تجرى تحليلات قياسية مماثلة، وهناك مثلاً معيار (التفضيل النقدي) الذي يقاس بحجم الطلب على السيولة النقدية ... وهكذا.

- **وفى الاقتصاد الإسلامي** تستخدم ذات المعايير الموجودة في إطار الاقتصاد التقليدي بشرى الأساس بشرط ضبطها بالأحكام التشريعية الصحيحة، بالإضافة إلى ذلك يتميز ذلك المجال بوجود معايير أخرى ينفرد بها مثل (المواريث) كمعايير لتناقل الثروة والدخل ممن ماتوا إلى المستحقين في عالم الأحياء، (وزكاة

المال) كمعيار إسلامي مفروض لأغراض متعددة منها تضييق الهوة بين شرائح الشعب المختلفة وسد العجز في بعض بنود الموازنة العامة مثل بند الدفاع القومي.

- **وفى مجال الصحة العامة** خاصة في نطاق التغذية يمكن قياس الحالة الغذائية وتقييمها بمعايير مختلفة ومن المقاييس المستخدمة - كمثال - الوزن بالنسبة للعمر، والوزن بالنسبة للطول، ومن المعايير المستخدمة لتقييم النتائج المقاسة معيار (جوميز) ومعيار (واترلو). وبدون الخوض غير اللازم في مثل تلك الأمور التخصصية يمكن فقط توضيح أن تلك المعايير توضح لنا بصفة عامة وجود ثلاث حالات عن سوء التغذية (بالإضافة إلى الحالة الغذائية الطبيعية الخالية من المشاكل). فهناك سوء **تغذية خفيفة** يمكن تحسينها بتعويض النقص الغذائي الحادث من خلال استخدام مواد غذائية أو أطعمة غنية بعناصر القصور الذي يعانيه المرء، وسوء **تغذية متوسطة** وهى تستلزم الذهاب إلى طبيب أخصائي لإضافة بعض المكملات الغذائية الدوائية إلى الأغذية الطبيعية المطلوبة، أما الحالة الثالثة فتمثل أخطر المراحل وهى **سوء التغذية الحاد** وذلك Severe وفى تلك الحالة لابد من نقل المصاب الفوري إلى مستشفى تخصصي والحصول على نظام علاجي مكثف لاحتمالات استفحال تلك الحالة إلى حالات مرضية أخرى وأكثر خطورة يمكن أن تتسبب في موت صاحبها.

وكما ذكرنا من قبل فتلك فقط مجرد نماذج مرشدة للمتخصصين الأكاديميين أو الباحثين عن المعارف المتخصصة ليتعلموا معاً كيف يستطيعون استنباط المعايير التخصصية المختلفة وفى أي مجال يقومون بتطبيقها ولأي هدف يطمحون من خلال ذلك الاستخدام.

ولننتقل معاً إلى الجزء الختامي من ذلك العرض وهو الذي نعرف من خلاله نماذج لبعض الأدلة والبراهين التي يجب تكثيف جهودنا لتحديد مثلها ولتفعيل

استخدامها وتطبيقها في حياتنا الفكرية والمعرفية والتحليلية من أجل النهوض بمستوانا الذهني والإبداعي المطلوب.

(3) الأدلة والبراهين Proofs & Evidences:

أ- أدلة ترتبط بخصائص الشخصية الباحثة أو المفكرة، وبقيمة العملية المعرفية:

- «هذا الشخص منافق. لذا سأكون حذراً في تصديق ما يقدمه أو ينشره من معارف» .. كيف عرفت هذا؟ ولماذا تأخذ منه ذلك الموقف؟ .. لأن حديثه دائماً ما يبنى على أكاذيب وبالتالي فما يقدمه من معلومات يكون دائماً مشكوك في صحتها، ولأنه إذا وعد القارئ بالانتفاع بما يقدمه له أو بغير ذلك فلن يحقق وعده، ولأنه إذا ائتمن على معلومة أخذها من مراجع أخرى فيمكن أن يُنسبها إلى نفسه، بل إنه قد يقدم أصلاً نصوصاً شرعية غير صحيحة لا في مضامينها ولا في توثيقها .. وذلك كله يرجع إلى صفات ثلاث أساسية ثابتة توصمه حتى إن بدا صالحاً أو داعية وقورة المظهر ويظهر ذلك في الحديث الشريف «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى .. وقال: إني مسلم : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»[1].
- «هذا الشخص من المفلسين» !! كيف وهو يمتلك كثيراً من الممتلكات والأموال؟ «إن سلوكياته تدل على أنه سيكون من سكان النار» ... كيف وهو «دائماً ما يعلن أنه مسلم ودائماً ما يؤدى ما عليه من فروض من صلاة وصيام وغيرها؟ .. لأنه **أصبح مفلساً معنوياً** .. فقد ارتكب في حق غيره من

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 3043، ص 584

الذنوب ما يكفى لأن تسحب حسناته وتذهب إلى من يظلمهم، ثم بزيادة قبيح أفعاله فرغ جراب حسناته فأصبحت تحال إليه سيئات غيره إليه» ... ودليلنا هو الحديث النبوي الشريف «أتدرون ما المفلس؟ إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[1].

وإن كان هذا الحديث الشريف دليلاً على صفات المفلس معنوياً أو روحانياً إلا أن ذات الحديث ممكن أن يلهمنا أيضاً بخصائص وسمات (البلطجي) ألا توافقوني قرائي الأعزاء على هذا ؟!

- «هذا الشخص شديد الفقر .. بيته مليء بالحشرات، ومع هذا فهو أسعد الناس» كيف هذا؟ .. لأنه من الصالحين، ولأنه يدرك أن ما يحدث هو ابتلاء وليس عقاب والدليل على صحة ذلك ما ورد بالحديث الشريف «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، لقد كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها فيلبسها، ويبتلى بالقمل حتى يقتله، ولأحدهم كان أشد فرحاً من أحدكم بالعطاء»[2].

- «هاتان دولتان شعوبهما غير مسلمين .. لا مانع من التعامل مع الدولة الأولى وعقد معاهدات اقتصادية وتبادلية معها .. لكن الأخرى علينا التحفظ معها، ومقاطعتها .. وإن لزم الأمر علينا مقاتلتها ...» لماذا هذا السلوك، وذاك ..

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 40687، ص79.

(2) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 995، ص231.

برغم أن الدولتين تشتركان في عقيدة ودين يختلف عن ديننا الإسلامي الحنيف؟! .. لأن الله عادل ولا يحب الاعتداء إلا على من يعتدي على غيره ويستمر في طغيانه وفى ظلمه .. أما دليلنا فهو قوله الكريم ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة: 8-9].

ويلاحظ أننا حرصنا على تقديم نماذج الأدلة من نصوص من القرآن والسنة لأننا نعتقد أو نؤمن بأنها تمثل المصادر المثلى لاستنباط الأدلة الثابتة ذات الأولوية المطلقة التي يمكن الاستعانة بها للتدليل على صحة أمر ما أو على خطئه خاصة فيما يتعلق بصفات البشر وسلوكياتهم وتوجهاتهم حتى إن كانت مرتبطة بالمجالات الفكرية الإبداعية .. فذلك الإبداع المستهدف يجب ألا يحدث بشكل مطلق لكنه يجب أن يهذب بالضوابط والتوجيهات التشريعية السامية.

وننتقل الآن إلى الجزء الأخير في ذلك الفصل، فلننظر معاً ما يقدم لنا فيه.

ب- دلالات معرفية علمية متخصصة:

بالإضافة إلى استنباط الأدلة المناسبة من القرآن والسنة على نحو ما أوضحنا سابقاً، فقد وجهنا ديننا إلى أن بعض المسائل الدنيوية أو التجريبية البحتة يجب ألا تحمل بنصوص دينية قد لا تكون قد تعرضت لها بشكل مطلق لانفراد تلك المسائل الدنيوية البحتة بمسميات أو بمجالات مستحدثة تركها الله سبحانه للإنسان كي يستخدم عقله وملكاته ويستغل إمكانياته البشرية ويبذل مجهوداً خاص به ويميزه عن غيره فيما يقوم من جهد شخص - ودائماً ما يحضرني في ذلك المقام، مثال نيوتن والتفاحة، فعندما سقطت من الشجرة أمامه بدأ عقله يفكر في كيفية حدوث تلك الظاهرة، وسارع إلى أبحاثه وتجاربه ليخرج للبشرية بقانون علمي اسمه قانون

الجاذبية الأرضية مازال يعمل به حتى الآن .. في الدول الغربية وغيرها من كل بلدان العالم، وتم تخليد اسم ذلك العالم الملحد من خلال عمله الدنيوي الجاد الصحيح. وقد نتصور أنه لو شخص من بلد متخلف سقطت أمامه تفاحه بنفس الطريقة، لسارع وأكلها حتى بدون أن ينظفها، وقد يصادف شخصاً أخر أكثر رقياً نفس الموقف فيلتقط التفاحة ويغسلها قبل التهامها .. وقد يصيب ثالث بعض الحياء والتعفف فيتركها ملقاة على الأرض تلقى مصيرها مع عفن يصيبها أو مع فم آخر يلتهمها .. وقليل ما هم هؤلاء الذين يتناولون الأمور بجدية العلماء ويسعون إلى الأبحاث المعرفية الجادة لاستنباط العلاقات وتفسير الظواهر الطبيعية المحيطة بالبشر.

- ومن المنطلق الأخير يمكن القول بجواز البدء بالتفكر والتدبر وابتداع النظريات والعلوم الأساسية بدون الحاجة الضرورية للرجوع إلى نصوص دينية بعينها، وبإمكانية قبول النتائج حتى دينياً طالما اتضح فيما بعد عدم مخالفتها كلياً أو جزئياً للضوابط التشريعية العامة والخاصة. ودليلنا في صحة ما نقول هو الحديث النبوي الصحيح «أنتم أعلم بأمر دنياكم»[1].
- وماذا عما تعانيه بلدان العالم كله (مع اختلاف أنظمتها ومذاهبها) من أزمات شاملة اقتصادية وسياسية وصحية وأمنية واجتماعية؟ هل ذلك يتطلب كما يرى البعض ابتداع نظام وسط ما بين الرأسمالية والشيوعي وهو ما يسمونه تارة بالطريق الثالث، وأخرى بالطريق الرابع؟، أم كيف سيكون الحال؟ الحل والله واضح ولا أفهم لماذا كل هذا الرفض القاطع لأن يكون هناك بالفعل نظام جديد مختلف عن كل ما سبقه من أنظمة وضعية لم تجر للعالم إلا الفساد والخراب .. إنه نظام يجب أن يرتكز على توجيهات دينية ثابتة ثم تبنى لبناته وطبقاته وبقية أرجائه وفقاً للعلوم الدنيوية بشرط تنقيحها بالضوابط الإسلامية

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 1488، ص 312

الرشيدة. فنحن نكاد نجزم أن ما يعانيه العالم الآن من أزمات أخطبوطية طاحنة إنما ترجع كنتيجة لانتشار الفساد والانحلال وتراجع السلوك الديني الصحيح بين الغالبية من العظمى وسوف يكون الحل إذن في العودة إلى صحيح الدين والعمل الدنيوي المقترن بالضابط الديني ودليلنا في ذلك بالسبب المشار إليه قوله تعالى ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: 41]، كما ورد الحل الذي استنتجناه من التدبر في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: 96].

- وبوجه عام، فعادة ما تقدم الأدلة المنطقية في العلوم خاصة الرياضية في صيغة بما أن ∵.. إذن أو ∴ .
- وعادة ما تتمثل الدلالات أو الأدلة العلمية التخصصية في أعراض أو شواهد أو ملاحظات تدرك بالحواس أو يتم الوقوف عليها من خلال المعامل التجريبية أو حل النماذج الرياضية أو إجراء دراسات ميدانية أو تجميع بيانات كافية وإجراء عمليات تحليلية منهجية مناسبة عليها بحيث تثمر عن معلومات تؤكد صحة الفرضيات أو عدم صحتها .. والدلالات العلمية المتخصصة يفضل أن توضح بقدرها عند تناول دراسات بعينها لأنها لا تقدم بمجرد كلمات بسيطة تحتاج هي ذاتها للتوثيق ولإثبات صحتها إلا إذا كانت هناك نظريات أو قوانين أو مبادئ علمية أو مسلمات متفق عليها فيمكن استخدامها في ذاتها كدلالات لإثبات المتصل بها من مواضيع وأمور.